منهج ياقوت الحموي في معجمي الأدباء والبلدان – دراسة مقارنة

أ.م.د. سامي حمود الباحث. علياء جاسم

Yakoot al-Hamawi's Approach in his Two Books, " Mu'jam al-Udaba'" (Book of Literary Men) and "Mu'jam al-Buldan"(Book of Countries)-A Comparative Study

Assis. Prof. Sami Hmood Ph.D.
Alya' Jasim

Abstract

Yakoot al-Hamawi is considered one of the great scholars in Arab Islamic history for what he had left to us of books that attract the historians' and researchers' attention to him in old and recent times. Numerous studies passed through his life, upbringing, attributes, and his age, teachers and works. These studies described al-Hamawi as a man of letters and geography but skipped over the fact that he is a historian. Hence, we have been urged to present this study which illustrates this point through a comparison between his approaches in his major books which are "The Book of Literary Men" and "The Book of Countries" which contain important political, economic, social, cultural, and literary information, not to mention the historical content because he depended in writing them on historical sources. Although "The Book of Countries" is a gazetteer, it contains historical information so it is considered a link between history and geography.

المقدمة:

يعد ياقوت الحموي علماً من اعلام التاريخ العربي الاسلامي لما تركه لنا من مؤلفات وجهت اليه أنظار المؤرخين والباحثين قديماً وحديثاً فكانت العديد من الدراسات التي اهتمت بحياته ونشأته واخلاقه وصفاته ومقومات شخصيته وعصره وشيوخه ومؤلفاته واغلب هذه الدراسات وصفت ياقوت انه اديب وجغرافي واغفلت عن وصفه مؤرخا مما اثار اهتمامنا وآثرنا تقديم دراسة بهذا الشأن من خلال مقارنة بين منهجه في ابرز واشهر مؤلفاته وهما معجمي الادباء والبلدان وتأتي اهميتهما من خلال ما تضمناه من معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وادبية فضلا عن المادة التاريخية لاعتماده في التأليف على مصادر تاريخية، فعلى الرغم من ان معجم البلدان هو من المعجمات الجغرافية الا انه تضمن معلومات تاريخية، ويعتبر حلقة وصل بين علمي التاريخ والجغرافيا، لذا جاءت هذه الدراسة بعنوان (منهج ياقوت الحموي في معجمي الادباء والبلدان دراسة مقارنة)، وقد ركزت هذه الدراسة على محاور اساسية وهي كالتالي :

اولا : اسمه ونشأته وولادته ووفاته .

ثانيا: منهجه في معجم الادباء .

ثالثا: منهجه في معجم البلدان .

رابعا: مقارنة بين منهجه في المعجمين .

اولاً : ياقوت اسمه ونشأته ومولده ووفاتهُ :

هو ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله[1] الحموي[2] _ نسبة الى مولاه عسكر –[3] _ رومي الاصل[4]، نشأ في بغداد[5]، ولقب شهاب الدين[6]، وقد أخطأ ابن العماد الحنبلي [7] عندما لقبه (أبو الدر) وهو شخص آخر اسمه ايضاً ياقوت بن عبد الله الرومي الشاعر المتوفي 622هـ/ 1125م [8]، وهناك شخص آخر أسمه ياقوت ايضاً وهو أديب المتوفي 618هـ/ 1221 م [9].

ولد ياقوت الحموي سنة (574هـ/ 1178م) أو (575هـ/ 1179م) اذ قال المنذري [10] الذي عاصره وسمع منه: "سمعته يقول مولدي سنة اربع أو خمسة وسبعين يعني وخمسمائة ببلاد الروم". وذكر هذا التاريخ معظم من ترجم له[11].

ويبدو على الارجح ان مولده في حدود 575هـ/1179م لان ياقوت الحموي قال في ترجمته لنصر بن الحسن بن جوشن بن منصور[1] (ت 588هـ/ 1192م) : "وقد ادركته صغيراً ولم القه"[2] وقال في ترجمة المبارك بن المبارك[3] (ت 585هـ/ 1189م) : " وقد ادركته صغيراً ولم القه الا انني لم اره لصغر السن حينئذ"[4].

---

[1] . الحموي، ياقوت بن عبدالله(ت: 626هـ/ 1228م)،معجم الادباء، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1993)، 855/2، ابن المستوفي،شرف الدين ابي البركات مبارك بن احمد اللخمي الاربلي(ت:637هـ/ 1239م)، تاريخ اربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل، حققه وعلق عليه: سامي بن السيد خماس الصفار، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، (بغداد، 1980)، ق319/1؛ النجار البغدادي،محب الدين ابي عبدالله محمد بن محمود (ت:643هـ/ 1245م)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط2، الكتب العلمية، (بيروت، 1425)،192/21؛ القفطي، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت:646هـ/ 1248م)، انباه الرواة على انباه النحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم،ط2،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، (مصر، 1430)، 74/4؛ ابن الشعار الموصلي، كمال الدين ابي البركات المبارك (ت:654هـ/ 1256م)، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1426)،179/9؛ المنذري، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت:656هـ/ 1258م)، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، (بلا، د.ت)، 1337/4؛ ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت:681هـ/ 1282م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، حققه: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، د.ت)، 127/6؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت:748هـ/ 1347م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت،1407)،266/45؛الصفدي، صلاح الدين بن ابيك(ت:764هـ/ 1362م)، الوافي بالوفيات، باعتناء:ابراهيم شبوح، المعهد الالماني للابحاث الشرقية، (بيروت،1430)، 45/28؛ الدلجي،شهاب الملة والدين احمد بن علي(ت:838هـ/ 1434م)، الفلاكة والمفلكون،مطبعة الاداب، (النجف، 1385)، ص 122؛ ابن العماد، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد الحنبلي(ت:1089هـ/ 1678م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، حققه وعلق عليه: محمد الارناؤوط، دار ابن كثير، (بيروت، 1412)، 212/7؛ القمي، عباس(ت:1359هـ/ 1940م)، الكنى والالقاب، مكتبة الصدر، (طهران، د.ت)، 194/2 .

[2] . النجار البغدادي، المستفاد.... 192/21؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان...، 127/6؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، (بيروت،1413)،312/22؛ العبرفي خبر من غبر، حققه: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1405)،198/3؛ الزركلي، خير الدين (ت:1410هـ/ 1989م)، الاعلام، ط5، دار العلم للملايين، (بيروت،1980)،8/ 131.

[3]. وهو عسكر بن ابي نصر بن إبراهيم الحموي، التاجر الذي اشترى ياقوت الحموي. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان...، 127/6.

[4] . القفطي، انباه الرواة...، 74/4؛ ابن الشعار الموصلي، قلائد الجمان...، 197/9؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان...، 127/6؛ الكتاني، السيد الشريف محمد بن جعفر(ت:1345هـ/ 1926م)،الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة،دار الفكر، (دمشق،1964)،ص205؛ الزركلي،الاعلام،131/8.

[5] . ابن الشعار الموصلي، قلائد الجمان، 197/9؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 127/6؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 212/7.

[6] . ابن خلكان، وفيات الاعيان...، 127/6؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 45/28؛ ابن حجر، شهاب الدين احمد ابن علي بن محمد(ت:852هـ/ 1351م)،لسان الميزان، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط2، (بيروت، 1390)،239/6،ابن العماد،شذرات الذهب...، 212/7.

[7]. شذرات الذهب، 5/ 122؛ الغساني، إسماعيل بن العباس (ت 803هـ/ 1400م)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تح شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، (بغداد، 1975)، 2 /439.

[8]. ياقوت بن عبد الله مهذب الدين أحد أدباء العصر وشعرائه المجيدين نشأ ببغداد حفظ القرآن قرأ في المدرسة النظامية العلوم الادبية والعربية، توفي 622هـ/1125م ينظر: الحموي، معجم الادباء، 6/ 2804.

[9].ياقوت بن عبد الله الرومي نزيل الموصل الكاتب الاديب النحوي اوحد عصره في جودة الخط واتقانه قصده الناس من مختلف البلاد ويذكر ياقوت أنه شاهده عام 613هـ/1216م في الموصل وشاهد عنده العديد من الكتب توفي سنة 618هـ/1221م . ينظر: الحموي، معجم الادباء، 6/ 2805.

[10]. التكملة ...، 4/ 1338.

[11].ابن المستوفي، تاريخ اربل، ق319/1؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان...، 6/ 139.

وتوفي ياقوت في حلب في رمضان سنة 626هـ / 1228م [5].

ولد ياقوت في بلاد الروم – كما اسلفنا – الا انه نشأ نشأة عربية اسلامية اذ أُسِر من بلاد الروم وهو صغير وابتاعه تاجر يسكن بغداد يعرف بعسكر الحموي فاتخذه مأخذ الولد[6]، وعلمه شيئا من اللغة والنحو ليكون له عونا في ضبط وادارة امور تجارته واشغله بالاسفار[7] وزار ياقوت عدة مدن منها بلجان [8] ودنسير [9] وكيش[10] وقد زار مصر مرات عدة [11]، وفي سنة (596هـ/ 1199م) اعتقه مولاه على اثر نبوة جرت بينهما، فعمل ياقوت في نسخ الكتب [12]، فعطف عليه مولاه واعاده للعمل معه، فارسله في تجارة إلى كيش وفي اثناء عودته توفى سيده فعاد واعطى زوجته واولاده ربح التجارة التي كان قد ارسله فيها وحصل هو على رأس المال واخذ يتاجر بين كيش والشام ومصر وجعل بعضها في تجارة الكتب[13].

اما عن حياة ياقوت العلمية فقد مر بمراحل عدة في حياته ساعدته على صقل ثقافته فمن دخوله الكُتّاب لتعلم القراءة والكتابة إلى عمله في النسخ ودخوله عالم الكتب ومؤلفيها وقد نسخ ما يقارب ثلاثمائة مجلد [14] فساعدته هذه الحرفة على الاتصال بمشاهير العلماء والمؤلفين والادباء. فبعضهم كانوا اصدقاء له وبعضهم كانوا شيوخ له افاد منهم على درجات متفاوتة [15].

وقد أخطأ أحد الباحثين بقوله:" ان ياقوت بلا شيوخ تتلمذ عليهم"[16]، فنجده يذكر شيوخه في مؤلفاته معترفاً بفضل الاستاذ على تلميذه ومن اشهر شيوخه:

1- سالم بن أحمد بن سالم ابو الصقر المرجيء المعروف بالمنتخب البغدادي المتوفى (611هـ/ 1214م)[17]: ذكر ياقوت [18] انه اول شيخ قرأ عليه في دمشق وقرأ عليه اللغة العربية والعروض.

---

[1]. هو ابو مرهف نصر بن الحسن بن جوشن بن منصور ابن حميد ابن اثال العيلاني النميري كان قارئاً اديباً شاعراً مجيداً وقرأ الادب برع في الشعر فمدح الخلفاء والوزراء وكان منقطعاً إلى الوزير ابن هبيرة وقد أدركه. ياقوت صغيراً توفي سنة 588هـ/ 1192م. ينظر، الحموي، معجم الادباء، 2748/6.

[2].معجم الادباء،2748/6.

[3]. هو ابو بكر المبارك بن المبارك بن سعيد الدهان المعروف بالوجيه، ولد سنة 502ه / 1108م. ينظر: الحموي، معجم الادباء، 2263/5.

[4]. الحموي، معجم الادباء، 2261/5.

[5]. القفطي، انباه الرواة...، 77/4؛ ابن الشعار الموصلي، قلائد الجمان...، 198/9؛ المنذري، التكملة...، 1337/4؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان...، 139/6؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء،313/22؛ العبر...، 198/13؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 47/28، الدلجي، الفلاكة والمفلكون، ص 122؛ ابن حجر، لسان الميزان،240/6؛ ابن العماد، شذرات الذهب...، 214/7؛ الكتاني، الرسالة السمتطرفة، ص205.

[6]. ابن المستوفي، تاريخ اربل، ق1/ 527؛ القفطي، انباه الرواة ...، 4/ 75؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان ...، 6/ 128.

[7]. ابن خلكان، وفيات الاعيان ...، 6/ 128.

[8].بلجان: قرية بين البصرة وعبدان ذكر ان رأها مراراً كان اخرها 588 هـ، او بعدها وهي فرضة مراكب كيش التي تحمل بضائع الهند. ينظر: الحموي، معجم البلدان 2/ 479.

[9].دنيسر: بلدة عظيمة من نواحي الجزيرة قرب ماردين يقول رأيتها وانا صبي وقد صارت قرية ثم رايتها بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة وقد صارت مصراً: ينظر: الحموي، معجم البلدان، 2/ 478.

[10].كيش: هي جزيرة قيس في بحر عمان وهي مرفأ مراكب الهند. ينظر: الحموي، معجم البلدان، 4 /497.

[11]. ابن الشعار الموصلي، قلائد الجمان ...، 5/ 197 .

[12].القفطي، انباه الرواة، 4/ 75.

[13].المصدر نفسه، 4/ 75.

[14].القفطي، انباه الرواة، 4/ 81؛ السعدي، عباس دراسة في التراث الجغرافي العربي، دار الطليعة، (بيروت، 1992)، ص 11؛ الحلو، عبد الفتاح محمد، اعلام التراث الإسلامي، مكتبة عكاظ، (الرياض، 1981)، ص 126.

[15].بني ياسين، يوسف أحمد، بلدان الأندلس في اعمال ياقوت الحموي الجغرافي، (574-626هـ/ 1178-1229م)، مركز زيدان للتراث والتاريخ، ط1، (بلا، 2004)، ص 59.

[16].ادهم، علي، بعض مؤرخي الإسلام، المؤسسة العربية، (لبنان، 1974)، ص151.

[17].الخوانساري، محمد باقر الموسوي، روضات الجنات في احوال العلماء والسادات، تحقيق: اسد الله اسماعيليان، (طهران، 1392)، 4/ 28.

[18].معجم الادباء، 3/ 1339.

2- تقي الدين عبد العزيز بن محمود الجنابذي البغدادي يكنى ابو محمد (ت 611هـ/ 1214م): يعرف بابن الاخضر قال ياقوت عنه:" لم يكن لاحد من شيوخ بغداد الذين ادركناهم اكثر من سماعه مع ثقة وامانة، وصنف مصنفات كثيرة في علم الحديث مفيدة"[1].

3- ابو بكر المبارك بن ابي الازهر سعيد الملقب بالوجيه الدهان الواسطي (ت 612هـ/1215م) [2]: النحوي الضرير كان بارع في العربية والفارسية والرومية والتركية والارمنية والحبشية والزنجية[3].

4- تاج الدين، زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي (ت 613هـ/ 1216م): المقريء النحوي اللغوي شيخ القراء والنحاة بالشام ومسند العصر[4].

5- عبد الخالق بن صالح بن علي بن زيدان المسكي[5] (ت 614هـ/ 1217م): وهو نحوياً لغوياً لقيه ياقوت في مصر عام (611هـ/ 1214م) وقرأ عليه كتاب " الانتصار " لعبد الله بن بري المقدسي[6] (ت582هـ/ 1194م).

6- القاضي عبد الصمد بن محمد بن ابي الفضل الانصاري الحرستاني (ت 614هـ/ 1217م): ولي القضاء بدمشق في كهولته كان قد تفقه على كبار العلماء في الحديث في بغداد وخراسان ودمشق[7].

7- محب الدين ابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616هـ/ 1219م): النحوي الفرضي اللغوي جمع فنون من العلم وله مصنفات عدة منها اعراب القرآن الكريم، واعراب الحديث، وشرح ديوان المتنبي وغيرها[8].اشار اليه ياقوت بانه شيخه[9].

8- ابو المظفر عبد الرحيم بن الحافظ ابي سعد عبد الكريم بن ابي بكر السمعاني (ت 617هـ/ 1220م)[10]: ذكر ياقوت [11] انه تردد إلى مجلسه في مرووسمع منه وذلك عام (615هـ/1218م) وهو فقيه ومحدث وله كتاب في الانساب[12].

9- المؤيد بن محمد بن علي الطوسي (ت617هـ/ 1220م)[13]: كان مقرئاً محدثاً اخذ عنه ياقوت علم الحديث ذكره ياقوت بانه شيخه، مسند خراسان وانتهى اليه علم الاسناد بنيسابور[14].

10- محمد بن سعيد بن يحيى بن علي الواسطي المعروف بابن الدبيثي (ت 637هـ/ 1239م): قال عنه ياقوت "شيخنا الذي استفدنا منه وعنه اخذنا [1]"، صنف تاريخ واسط وذيل على تاريخ بغداد، اهتم بالحديث ورجاله[2].

---

[1].معجم البلدان، 2/ 165؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت 874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في حضرة ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1992)، 6/ 212.

[2]. ابي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت 732هـ/ 1960م)، المختصر في اخبار البشر، (القاهرة، 1315)، 3/ 116؛ ابن العماد، شذارت الذهب، 5 / 53؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6 / 214.

[3]. الحموي، معجم الادباء، 5/ 2263 .

[4].ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6 / 216؛ الذهبي، العبر، 155/3.

[5].مسكة: قرية من قرى عسقلان ينتسب اليها جماعة من علماء مصر. ينظر: الحموي، معجم البلدان، 5/ 128.

[6]. الحموي، معجم البلدان، 5/ 128؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد (ت 911هـ/ 1505م)، بغية الوعاة في اخبار اللغويين والنحاة، تح محمد ابو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، (بلا، 1979)، 2/ 75.

[7].الحموي، معجم البلدان، 3/ 127،؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 220.

[8]. ابن الدبيثي، ابي عبد الله محمد بن سعيد، المختصر المحتاج اليه، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة الزمان، (بغداد، د.ت)، 3/ 141-142؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 246؛ القفطي، انباه الرواة، 4/ 39-45.

[9].الحموي، معجم البلدان، 4/ 465.

[10].ابن النجار، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2004)، 21/ 118؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 3 / 209-215؛ الذهبي، العبر، 3/ 174.

[11].الحموي، معجم البلدان، 1/ 10.

[12] . مرو: مدينة قديمة تعرف بمرو الشاهجان ازلية البناء، من مدن خراسان وهي في ارض مستوية بعيدة من الجبال وارضها سبخة كثيرة الرمال وابنيتها من طين . ينظر: ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي النصيبي(ت: 350 ه/961م)، صورة الارض، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت، 1973)، ص 364 .

[13].ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 251؛ الذهبي، العبر، 3/ 76.

[14].الحموي، معجم البلدان، 4/ 245.

11- ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الاسدي (ت 643هـ -1245م): عالم بالنحو واللغة درس بحلب والموصل ذكره ياقوت الحموي بشيخنا[3].

12- جمال الدين الاكرم ابو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي (ت 646هـ/1248م): من الكتاب البارزين في النثر والنظم عارفاً باللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والاصول والمنطق والحكمة والنجوم والهندسة والتاريخ [4].

13- القاسم بن أحمد بن الموفق الأندلسي اللورقي (ت 661هـ/ 1262م): من علماء لورقة في الأندلس، امام في العربية وعالم بالقراءة وعلم الكلام والفلسفة وقرأ بدمشق ودرس بها [5]، لقيه ياقوت بحلب في سنة (618هـ/ 1221م) وقال :" ففزت من لقائه بالامنية واقتضبت من فوائده كل فضيلة شهية"[6].

ثانياً: منهج ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء :

سنحاول دراسة منهجه وفق نقاط اساسية وهي :

1 . صفة كتاب معجم الادباء.

2 . الخطة العامة لكتاب معجم الادباء.

3 . مصادر ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء.

1 . صفة كتاب معجم الادباء:

ان الصفة العامة لكتاب معجم الأدباء انه كتاب تراجم ألا انه يمتاز عن غيره من كتب التراجم بأنه اختص بالادباء، لاسيما ذوي التأليف منهم فقال ياقوت في مقدمته: "وجمعت في هذا الكتاب ما وقع الي من أخبار النحويين، واللغويين، والنسابين، والقراء المشهورين، واصحاب الرسائل المدونة، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة، وكل من صنف في الادب تصنيفاً او جمع في فنه تأليفاً..."[7]، وان من جملة شروط تراجمه ان يكون من ذوي الخطوط المنسوبة، فقال في ترجمة احمد بن الحسن بن محمد اليماني:"...رجل اديب الا ان الغالب عليه الخط، وذكرنا له انما لحسن خطه الذي بلغ الغاية..."[8]، وقال في ترجمة احمد بن محمد بن سعيد :"... وانما ذكرناه لما اشتراطنا في اول الكتاب من ذكر ارباب الخطوط المنسوبة فذكرناه لما وصف به... من جودة الخط"[9]، وفي ترجمته ليحيى بن خالد بن برمك قال:"انما دخل في شرط كتابنا من جهة بلاغته وتقدمه على اكثر اهل عصره في الانشاء والكتابة وما صدر عنه من الحكم والاقوال..."[10]، ومن شروط تراجمه ايضا ان يشتهر بتصنيف كتاب فقال:"من عرف بالتصنيف واشتهر بالتاليف وصحت روايته وشاعت درايته...، فهذا الكتاب عشه ووكره..."[11]، وقال في ترجمة محمد بن احمد بن محمد:"...لم يكن من اهل الادب فيجب ذكره، انما ذكرته لانه الف كتاب تاريخ بخارى..."[12]، اما تسمية كتابه فقد تعددت مسمياته فتارة يذكره ياقوت

---

[1].جواد، مصطفى، الضائع من معجم الادباء، شركة المعرفة، (بغداد، 1990)،ص147.

[2].الذهبي، العبر، 3/ 230.

[3].الحموي، معجم الادباء، 2/ 841، 869؛ معجم البلدان، 1/ 508؛ القفطي، انباه الرواة، 4/ 39-35؛ الذهبي، العبر، 3/ 249.

[4]. الحموي، معجم البلدان، 7/ 77؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 5/ 361؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 361؛ الذهبي، العبر، 3/ 255.

[5].المقري، أحمد بن التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، احسان عباس، دار صادر، (بيروت، 2004)، 2/ 50؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 5/ 445.

[6].الحموي، معجم الادباء، 5/ 2189.

[7] . الحموي، معجم الادباء، 7/1.

[8] . المصدر نفسه،1/ 232.

[9] . المصدر نفسه، 474/1.

[10] . المصدر نفسه، 289/6.

[11] . المصدر نفسه،8/1.

[12] . المصدر نفسه، 2349/5.

بعنوان((كتاب الأدباء))[1]، وأخرى بعنوان((أخبار الأدباء))[2]، وثالثة ذكره بعنوان((معجم الأدباء))[3]، ووسمه في مقدمتهِ بقوله:"وقد سميت هذا الكتاب أرشاد الأريب الى معرفة الاديب"[4].

اما عن تاريخ تأليف معجم الأدباء فلم يحدد ياقوت بداية تأليفه له – على نحو ما كان في معجم البلدان– وقال في مقدمته:"فما زلت منذ غذيت بغرام الادب والهمت حب العلم والطلب مشغوفاً بإخبار العلماء، متطلعاً الى انباء الادباء..."[5]، وقال[6]:"اني وردت امد[7] في سنة ثلاثة وتسعين وخمسمائة وانا في عنفوان الشباب وريعه، فبلغني ان بها علي بن الحسين...المعروف بشميم الحلي..."[8]، وقال في موضع اخر من معجمه:"وكنت مذ وردت الى امد في شهور سنة اربع وتسعين وخمسمائة فرأيت اهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ – شميم الحلي – فقصدته الى مسجد الخضر...فسلمت عليه وجلست بين يديه...قلت له: انما جئت أقتبس من علوم المولى شيئا، فقال: واي علم تحب؟ قلت له: أحب علوم الادب..."[9].

نستنتج مما تقدم ان ياقوت كان مهتماً بإخبار الادباء منذ شبابه ومن المحتمل انه قد بدأ بتأليف معجمه خلال هذه الفترة – من سنة زيارته لمدينة آمد حتى سنة وفاته 626هـ/1228م – واخذ يضيف الى تراجمه وعليها حتى سنة وفاته 626هـ/1228م، فقال في ترجمة القاسم بن القاسم بن عمر:"... مات بحلب في يوم الخميس رابع ربيع الاول سنة ست وعشرين وستمائة"[10]، وارخ وفات محمد بن احمد بقوله:"مات في اول رجب سنة خمس وعشرين وستمائة"[11]

اما عن طبعات كتاب معجم الادباء فهي اربع طبعات كانت الطبعة الاولى بتحقيق، الاستاذ مارجليوث وقد طبعت بمطبعة هندية بمصر في سبعة اجزاء ما بين سنة(1907–1927)، والطبعة الثانية كانت احسن من الاولى اذ بلغ عدد تراجمها(1041) ترجمة حيث زاد عن الطبعة الاولى لـ (66) ترجمة، اما الطبعة الثالثة فقد زاد فيها(28) ترجمة عن الطبعة السابقة اذ بلغ عدد تراجمها(1069) ترجمة وهي بتحقيق الدكتور احمد فريد رفاعي، وتقع في عشرين جزءا.

اما الطبعة الرابعة وهي طبعة دار الغرب الاسلامي وبتحقيق الدكتور احسان عباس وهي المعتمدة في هذه الدراسة.

2 . **الخطة العامة لكتاب معجم الادباء:**

ان الغرض الاساس للكتاب هو تراجم الادباء ومن عرف له مصنف ومن بديع منهج ياقوت انه سبق تراجمه بفصلين: اهتم الاول بفضل الادب واهله وذم الجهل وحمله، والثاني خصصه لبيان فضيلة علم الاخبار، وبدأ معجمه بمقدمة اوضح فيها بعد الحمد والثناء لله تعالى والصلاة على النبي واله الكرام، اوضح فيها سبب تأليفه للمعجم وذكر اهم المصادر التي اعتمدها في تأليفه فضلاً عما عاناه وقاساه من مشقة وبين منهجه في التأليف، ومن ثم وقف على غرض تأليف المعجم وهو تراجم الادباء فرتبها على حروف المعجم فقال: وجعلت ترتيبه على حروف المعجم: "اذكر اولا من اول اسمه الف، ثم من اول اسمه باء ثم تاء الى اخر الحروف، والتزم في ذلك في اول الحرف من الاسم وثانية وثالثة ورابعه– على نحو ما رتب عليه تراجم معجم البلدان–...، وأفردت في أخر كل حرف فصلاً اذكر فيه من اشتهر بلقبه او نسبه او

---

[1] . المصدر نفسه، 2/1،425،3/415،194،4/171،291،147/ 5،124/58،21.
[2] . المصدر نفسه،2/1،3/347،5/175،359/240.
[3] . المصدر نفسه،4/1،327،308،126/482.
[4] . الحموي، معجم الادباء، 15/1.
[5] . المصدر نفسه،5/1.
[6] . المصدر نفسه، 5/ 2205.
[7] . آمد: مدينة في الجزيرة من ديار بكر على جبل من غربي دجلة مطل عليها، وعليها سور اسود من حجارة الارحية. ينظر: ابن حوقل، ص 201.
[8] . شميم الحلي: هو ابا الحسن علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم الحلي شاعر ونحوي ولغوي من اهل الحلة المزيدية. ينظر: الحموي، معجم الادباء، 1689/4.
[9] . الحموي، معجم الادباء، 1689/4-1690.
[10] . المصدر نفسه، 2217/5-2218.
[11] . المصدر نفسه، 2391/6.

كنيته..."[1]، علما ان ياقوت لم يفرد فصلا او بابا خاصا في معجمه لمن عرفت بالأدب من النساء، أنما جعل تراجمهن ضمن باقي التراجم.

اهم ما امتاز به معجم الادباء هو صفتي الشمول والتنوع فلم يقتصر على ترجمة ادباء بلد دون اخر او عصر دون اخر، واشار الى ذلك بقوله:"ولم اقصد ادباء قطر، ولا علماء عصر، ولا اقليم معين، ولا بلد مبين، بل جمعت البصريين والكوفيين والبغداديين والخرسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وتفاوت الازمان..."[2].

3 . مصادر ياقوت الحموي ومنهجه في البحث والتأليف في كتابه معجم الادباء:

تنوعت مصادر ياقوت الحموي في معجم الادباء لاهتمامه بعلوم الادب، واحوال الادباء فكان دائم السؤال عن احوالهم فقال:"فما زلت، مشغوفاً بإخبار العلماء متطلعاً الى انباء الادباء، اسائل عن احوالهم...، واطوف على مصنف فيهم...فما وجدت في ذلك تصنيفاً شافياً ". فكان ذلك دافعا له في تأليف معجمه.

كان ياقوت قد اطلع على كم من المصنفات لاسيما انه كان قد عمل بنسخ الكتب بالاجرة[3]، فضلا عن ان الكتب كانت مادة من مواد تجارته ويشير الى ذلك بقوله: "وكنت في سنة سبع وستمائه قد توجهت الى الشام وفي صحبتي كتب من العلم اتجر فيها"[4]، ويمكن تصنيف مصادر ياقوت في معجم الادباء الى:

أ. الكتب. ب. اللقاءات والمسائلات.

أ. الكتب

تمثل الكتب مصدر اساسي من مصادر ياقوت في معجم الادباء وان كان قد وصفها :"انها لاتشفي الغليل وتداوي لوعة العليل"[5]، ومع ذلك فهو يذكر جملة من المصادر التي اعتمد عليها ونقل فوائدها وعلى اختلاف موضوعاتها من النحو والادب فمن كتب النحو ذكر:" صنف ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني كتاباً صقيلاً كبيراً...فينبغي ان يسمى مسند النحويين، وقد وقفت على هذا الكتاب وهو تسعة عشر مجلداً، ونقلت فوائده الى هذا الكتاب...ثم الف ابو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان كتاباً صغيراً في نحاة البصرة، نقلنا أيضاً فوائده الى هذا الكتاب، ثم جمع في ذلك ابو بكر محمد بن حسن الاشبيلي كتاباً لم يقصر فيه...وقد نقلنا فوائده ايضاً الى هذا الكتاب، ثم الف القاضي ابو المحاسن المفضل بن محمد كتاباً لطيفاً نقلنا فوائده".

ومن كتب الادب التي نقل عنها ياقوت واشار اليها:"ألف علي بن فضال المجاشعي كتاباً وسماه (شجرة الذهب في اخبار اهل الادب) وقع الى منه شيء...، ثم ألف الكمال عبد الرحمن بن محمد بن الانباري كتاباً اسماه (نزهة الالباء في اخبار الادباء)"[6]

ومن اصناف الكتب التي اطلع عليها ياقوت واعتمدها كمصدر من مصادر معجمه هي كتب اللغة، اذ انه قد ذكر في طيات معجمه بعض المسائل اللغوية، فمثلا في ترجمة عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد البلطي[7] قال:"وله ابيات يحسن في قوافيها الرفع والنصب والخفض:

اني امرؤ لايطبيني الشادن الحسن القوام

رفع القوام بالحسن صفة مشبهة بأسم الفاعل والتقدير الحسن قوامه كما يقول مررت بالرجل الحسن وجهه ونصبه على النسبة بالمفعول به وخفضه بالاضافة"[1].

---

1 . الحموي، معجم الادباء، 1/ 8.
2 . المصدر نفسه، 1/8-9.
3 . القفطي، انباه الرواه...، 75/4؛ ابن الشعار الموصلي، قلائد الجمان...، 198/9؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان...، 127/6.
4 . الحموي، معجم الادباء، 218/5.
5 . المصدر نفسه، 5/1.
6 . المصدر نفسه، 6-7.
7 . المصدر نفسه، 1610/4.

ومن جملة ما اعتمد عليه ياقوت من مصادر في معجمه هي كتب التاريخ كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي[2] وتاريخ مدينة دمشق للحافظ الدمشقي[3]، فضلاً عن كتب التاريخ الإداري مثل كتب الوزراء[4]، وكتب الامالي[5] التراجم والأنساب[6] وغيرها.

ب . اللقاءات والمسائلات: كان لرحلات ياقوت ولقاءاته بالأدباء دور في رفده بالمعلومات التي ضمنها معجمه واشار الى ذلك بقوله:" فإما من لقيته او لقيت من لقيه فأورد لك من اخباره وحقائق اموره مالا اترك بعد تشوقاً الى شيء من خبره"[7].

وكان ياقوت دائم السؤال عن احوال الادباء ففي ترجمة الحسن بن عبد الله بن سعد بن حكيم العسكري. قال:"ولقد طال تطوافي وكثر تسآلي عن العسكريين ابي احمد وابي هلال، فلم الق من يخبرني عنهما بجلية خبر حتى وردت دمشق في سنة اثنتي عشرة وستمائة في جمادي الاخرة ففاوضت الحافظ تقي الدين اسماعيل بن عبد الله فذكر لي..."[8].

كذلك الحال في ترجمة اسماعيل بن حماد الجوهري حيث قال:"وكنت بحلب في سنة احدى عشرة وستمائة في منزل القاضي الاكرم والصاحب الاعظم ابي الحسن علي بن يوسف...فتجارينا امر الجوهري وما وفق له من حسن التصنيف ثم قلت له: ومن العجيب أنى بحثت عن مولده ووفاته بحثاً شافياً، وسألت عنهما الواردين من نيسابور فلم أجد مخبراً عن ذلك..."[9].

ثالثاً : منهج ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان :

ستكون الدراسة على ثلاث نقاط – على نحو ما كان في معجم الأدباء – وهي :

1. صفة كتاب معجم البلدان.
2. الخطة العامة لكتاب معجم البلدان.
3. مصادر ياقوت الحموي ومنهجه في البحث والتأليف في كتابه معجم البلدان.

1. صفة كتاب معجم البلدان :

وصف ياقوت كتابه بقوله : " ان كتابي هذا أوحد في بابه، مؤمر على اضرابه ..."[10]، ووصفه أهل المعرفة انه: "دائرة معارف جغرافية مهمة"[11]، وانه منجم للمعرفة الجغرافية[12]، ولم يقتصر فيه ياقوت على دراسة جزء معين من العالم الإسلامي فوزع ترجمته للمواضع بالسوية على العالم الاسلامي والشرق الاقصى[13] أي انه يشمل وصف لكل العالم الذي عرفه المسلمون[14] من الاندلس الى بلاد ما وراء النهر والهند والحال التي كانت عليه في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي[15]، فجاءت مادته متنوعة .

---

[1] . الحموي، معجم الادباء، 1618/4.
[2] . ينظر: الحموي، معجم الادباء، 1/ 40، 191، 262، 462، 2/ 550، 620، 788، 866، 3/ 1283، 5/ 2959، 2327.
[3] . ينظر: الحموي، معجم الادباء، 102/1، 91، 161، 233، 384، 474، 2/ 534، 572، 726، 777، 866، 930، 3/ 1130، 1606، 4/ 2064، 2278، 6/ 2303 ....
[4] . ينظر: الحموي، معجم الادباء، 1/ 133، 135، 144، 4/ 1709، 1685 ... .
[5] . ينظر: الحموي، معجم الادباء، 553/1، 766، 1031/3، 1043، 4 / 2123، 2244 ... .
[6] . ينظر: الحموي، معجم الادباء، 1/ 102، 461، 2/ 768، 872، 5/ 1982، 2062، 2259، 2349.
[7] . الحموي، معجم الادباء،7/1.
[8] . المصدر نفسه،911/2.
[9] . المصدر نفسه،658/2.
[10] . الحموي، معجم البلدان، 1 / 13.
[11] . العزاوي، عباس، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، (بغداد، 1957)، ص 10 .
[12] . زيادة، نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، 1962)، ص 65 .
[13] . كراتشوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الادب الجغرافي العربي، نقله الى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة، (بلا، د. ت)، ق1 / 342 .
[14] . حميدة، عبد الرزاق، اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، (دمشق، 1416)، ص 448.
[15] . احمد، نفيس، جهود المسلمين في الجغرافية، ترجمة: فتحي عثمان، دار القلم، (بلا، د.ت)، ص87.

وقال فيه المستشرق كراتشوفسكي : " انه جماع للجغرافيا في صورها الفلكية والوصفية واللغوية وللرحلات ايضاً، كما تنعكس فيه الجغرافيا التأريخية الى جانب الدين والحضارة والانثولوجيا[1] والادب الشعبي والادب الفني في القرون الستة الاولى للهجرة[2] "، فأصبح موسوعة جغرافية لا غنى عنها[3]، وهو من افضل المصادر التي نملكها[4]، وافضل مصنف عربي من نوعه لمؤلف عربي للعصور الوسطى[5]، اما صفة ياقوت في معجم البلدان فهو يبدو مؤرخاً للبلدان بما يذكر من فتوحها واحكام اراضيها واخبارياً بما يروي من اخبارها ... ولغوياً بما يذكر من اشتقاق اسمائها ... وجغرافياً بما يذكر من اقاليمها ... ونسابة بما يروي من الاشعار التي قيلت فيها[6].

عليه نستطيع ان نصف معجم البلدان انه: (موسوعة)، وهو حسب اعتقادي جدير بهذه الصفة من حيث المضمون والترتيب فقد تضمن معلومات جغرافية وتاريخية وادبية واجتماعية واقتصادية وسياسية وادارية فضلاً عن المعتقدات الدينية التي كانت سائدة قبل وبعد الاسلام، وبين المواقع التي عرفها العالم الاسلامي آنذاك، اما من حيث الترتيب فقد رتبها على حروف المعجم وهو ترتيب سهل وسلس للمستفيدين منها وكتبها بأسلوب ادبي رائع ينم عن اتقانٍ للغة العربية وموثقة بمصادر معروفة معتمدة.

اما عن التسمية وسبب التأليف فقد ذكر ياقوت في مقدمته بعد الحمد والثناء لله تعالى: "هذا كتاب في اسماء البلدان، والجبال، والاودية، والقيعان، والقرى، والمحال، والاوطان، والبحار، والانهار، والغدران، والاصنام، والابداد، والاوثان"[7] وقد اختصر ياقوت هذه التسمية بعبارةٍ موجزةٍ في لفظها معبرةٍ في معناها وفحواها وقال: "... وسميته معجم البلدان اسمٌ مطابقٌ لمعناه"[8] واشار الى سبب تأليفه في المقدمة وقال : "...وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب، أنني سُئلت بمرو الشاهجان، في سنة خمس عشرة وستمائة، في مجلس شيخنا الامام السعيد الشهيد فخر الدين أبى المظفر عبد الرحيم ابن الإمام الحافظ تاج الاسلام أبي سعد عبد الكريم السمعاني تغمدهما الله برحمته ورضوانه، عن حباشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية . فقلت: أرى أنه حُباشة بضم الحاء، قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة، لان الحُباشة: الجماعة من الناس من قبائل شتى، وحُبشت له حُباشة أي جمعت له شيئا. فأنبرى لي رجل من المحدثين، وقال: انما هو حَباشة بالفتح. وصمم على ذلك وكابر، وجاهر بالعناد من غير حجة وناظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل، إذ لا معول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فأستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث، ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت بمرو يومئذ، وكثرة وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها، فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشغب والمراء، ويأس من وجوده ببحث واقتراء، فكان موافقاً والحمد لله لما قلته، ومكيلاً بالصاع الذي كلته، فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً، وبالاتقان وتصحيح الألفاظ بالتقييد مخطوطاً، ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً، وإلى ضوء الصواب داعياً ..."[9] .

اما عن تاريخ تأليف معجم البلدان ومدة التأليف فلا جدال في ان موسوعة مثل معجم البلدان تحتاج الى فترة ليست بالقصيرة لتأليفها لا سيما ان مؤلفها كان يتوخى الدقة فيما يكتب والوثاقة فيما ينقل، ويتضح ذلك جلياً من خلال الاطلاع على الموارد والمصادر التي اعتمدها ياقوت في تأليف موسوعته التي استغرقت مدة قاربت العشر سنوات، ست سنوات منها في كتابة المسودة والاربعة الباقية في تبييض معلوماته، فضلاً عن بعض الاضافات، فبدأ ياقوت في التأليف سنة 615هـ/1218م ويشير الى ذلك عند حديثه عن سبب التأليف بقوله : " انني سُئلت بمرو الشاهجان في سنة خمس عشرة

---

[1] . وهو علم الاجناس والفصائل اللغوية. ينظر: كراتشوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي، ق1 /335.
[2] . تاريخ الادب الجغرافي العربي، ق1 / 335 .
[3] . حميدة، اعلام ...، ص 448.
[4] . المرجع نفسه، ص 450.
[5] . كراتشكو فسكي، تاريخ الادب الجغرافي، ق1 / 335 .
[6] . المنجد، صلاح الدين، اعلام التاريخ والجغرافية، مؤسسة التراث العربي، (بيروت، 1959)، ص 74 .
[7] . الحموي، معجم البلدان، 1 /7 .
[8] . المصدر نفسه،1 / 15 .
[9] . الحموي، معجم البلدان، 1 / 15 .

وستمائة"[1]، وعندما انهى المسودة اشار الى ذلك فقال : " وكان فراغي من هذه المسودة في العشرين من صفر سنة 621 بثغر حلب "[2]، اما بداية تبييضه للكتاب فذكر : " وكان شروعي في هذا التبييض في ليلة احدى وعشرين من محرم سنة خمس وعشرين وستمائة ..."[3] .

يعد كتاب معجم البلدان من اهم مؤلفات ياقوت التي حققت له شهرةً بين المستشرقين وقد طبع عدة مرات كان اولها ما بين (1866- 1873م) في لايبسك بستة مجلدات واشرف على تحقيقه وطبعه المستشرق فرديناند فستنفلد، وطبع للمرة الثانية في القاهرة سنة 1906م، وطبع في طهران في مطبعة منشورات الاسدي سنة 1965م، كما طبعته دار احياء التراث العربي في بيروت سنة 1416هـ في اربع مجلدات، وكان لدار صادر في بيروت سنة 1968م طبعة في خمسة مجلدات، وآخر طبعة اصدرتها دار صادر سنة 2010م في سبعة مجلدات الخمسة الاولى منها متن الكتاب والمجلدان الاخيران فهارس وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة.

2. الخطة العامة لكتاب معجم البلدان:

قسم ياقوت كتابه الى خمسة ابواب الحقها بالغرض الاساسي للكتاب وهو تراجم المواضع وسبقه بمقدمة تضاهي مقدمات المؤلفات الحديثة من حيث استيعابها لكل مقومات المقدمات العلمية، وهي دليل على ما تمتع به ياقوت من مكانة علمية واطلاع واسع على المصادر نتيجة عمله في نسخ الكتب – كما اسلفنا – واستعرض ياقوت في مقدمته الدوافع والاسباب لتأليف معجمه واشار الى اهم المصادر التي اعتمدها في مُؤلفه، واوضح بصورةٍ مختصرة منهجه في التأليف .

وذكر عناوين الابواب الخمسة فكان الباب الاول تحت عنوان: في صفة الارض وما فيها من الجبال والبحار وغير ذلك، والباب الثاني: في ذكر الاقاليم السبعة واشتقاقها والاختلاف في كيفيتها، وحمل الباب الثالث عنوان : في تفسير الالفاظ التي تكرر ذكرها في هذا الكتاب، وسمى الباب الرابع : في بيان حكم الارضين والبلاد المفتتحة في الاسلام والباب الخامس والاخير وسمه : في جمل من اخبار البلدان، واشار ياقوت الى هذه التقسيمات في مقدمته وقال : " وقدمت امام الغرض من هذا الكتاب خمسة ابواب..."[4] .

وبعد هذه التقسيمات يعود راجعاً الى الغرض الاساسي للكتاب وهو ترجمة المواضع فيرتب التراجم على حروف المعجم مراعياً الحرف الاول والثاني والثالث والرابع والخامس ... الخ من اسم الموضع، ثم يقسم الحرف الى ثماني وعشرون باباً على عدد حروف المعجم فأول موضع يترجمه يبدأ بحرف الالف ويضعه في (باب الهمزة والالف وما يليهما)[5]، والباب الثاني هو : (باب الهمزة والباء وما يليهما)[6] وهكذا الى ان يصل الى الباب الثامن والعشرون ضمن تراجم الحرف الواحد فيسمي الباب الاخير من تراجم حرف الالف بـ : (باب الهمزة والياء وما يليهما)[7] واتبع هذا التقسيم مع كل الحروف واشار الى ذلك بقوله : " اقسمه الى ثمانية وعشرون كتاباً على عدد حروف المعجم، ثم اقسم كل كتاب الى ثمانية وعشرين باباً للحرف الثاني للأول، والتزم ترتيب كل كلمة منه على اول الحرف وثانيه وثالثه ورابعه، والى أي غاية بلغ، فأقدم ما يجب تقديمه بحكم ترتيب : أ ب ت ث... على صورته الموضوعة له، من غير نظر الى اصول الكلمة وزوائدها..."[8]، وقصد ياقوت من هذا الترتيب هو: " تسهيل طريق الفائدة من غير مشقة"[9] .

3. مصادر ياقوت الحموي ومنهجه في البحث والتأليف في كتابه معجم البلدان:

---

[1] . الحموي، معجم الادباء، 1 / 10 .
[2] . المصدر نفسه،5 / 457 .
[3] . المصدر نفسه،1 / 15 .
[4] . المصدر نفسه،1 / 15 .
[5] . الحموي، معجم البلدان، 1 / 49 .
[6] . المصدر نفسه،1 / 59 .
[7] . المصدر نفسه،1 / 287 .
[8] . المصدر نفسه،1 / 15 .
[9] . المصدر نفسه،1 / 15 .

تعددت مصادر ياقوت الحموي في معجم البلدان بسبب اطلاعه الواسع وكثرة اسفاره مداومته على الاستفسار والسؤال لذا يمكن تقسيم مصادره الى :

1. الكتب، 2. اللقاءات، 3. الرحلات والمشاهدات، 4. النقولات

1 . الكتب :

تمثل الكتب اهم مصادر ياقوت لاسيما انه عاش في فترة شهدت ازدهاراً للعلم وانتشاراً للمكتبات العامة العامرة بمئات المجلدات كما يصفها ياقوت وفي مختلف الامصار ففي مكتبات ساوة[1] يقول : " وكان بها داراً للكتب لم تكن في الدنيا اعظم منها..."[2] .

وفي حديثه عن مرو[3] يشير الى : " كثرة كتب الاصول المتقنة بها "[4] ويصف خزائن الكتب فيها بقوله : " ... وفيها عشر خزائن للوقف لم ارفي الدنيا مثلها كثرةً وجودةً ... وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد واكثر بغير رهن ... فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها"[5] .

كان ياقوت دائم الترحال مما ساعده على الاطلاع على أكبر قدر من الكتب وفي شتى المواضيع ومن خلال البحث في معجم البلدان يمكن تصنيف الكتب التي اطلع عليها الى:

أ. كتب الجغرافيا .

ب. دواوين الشعراء .

ج. كتب الحديث والسير والمغازي والفتوح .

د. كتب الرجال .

أ. كتب الجغرافيا : من المؤكد ان تأليف معجم جغرافي تكون مصادره بالدرجة الاساس هي كتب الجغرافية وقد اشار ياقوت الى المصادر التي افاد منها في مقدمة معجمه بقوله : " ... وابو سعيد الاصمعي، ظفرت به رواية لابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه، ... وابو زياد الكلابي ذكر في نوادره صدراً صالحاً وقفت على اكثره، ومحمد بن ادريس بن ابي حفصة وقفت له على كتابٍ سماه مناهل العرب، وهشام بن محمد الكلبي، وقفت له على كتابٍ سماه اشتقاق البلدان، وابو القاسم الزمخشري له كتاب لطيف في ذلك . ولم يسم الكتاب .، وابو الحسن العمراني تلميذ الزمخشري، وقف على كتاب شيخه وزاد عليه رأيته، ثم وقفني صديقنا الحافظ ابو عبد الله محمد بن محمود النجار جزاه الله خيراً على مختصر اختصره الحافظ ابو موسى محمد بن عمر الاصفهاني من كتاب الفه ابو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي فيما ائتلف واختلف من اسماء البقاع فوجدته تأليف رجلٍ ظابط ... ووجدت الحازمي رحمه الله قد اختلسه وادعاه ..."[6] واكد افادته من هذه الكتب بقوله: "وهذه الكتب المدونة التي نقلت منها"[7] .

ب. دواوين الشعراء: على الرغم من ان اصل موسوعة ياقوت معجم جغرافي الا ان الاشعار اخذت حيزاً واسعاً فيها وكانت مادة لاغنى لياقوت عنها، لذا شكلت الدواوين مصدراً مهماً من مصادر تأليفها، واشار الى ذلك بقوله: " ثم نقلت من دواوين العرب ..."[8] .

---

[1] . ساوة: قرية في الطريق بين همذان والري بينهما اثنا وعشرون فرسخاً. ينظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت: 900ه/ 1494م)، الروض المعطارفي خبر الاقطار، حققه: احسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، (بيروت، 1984)، ص297.

[2] . الحموي، معجم البلدان، 3 / 179 .

[3] . المصدر نفسه،5 / 114 .

[4] . المصدر نفسه،5 / 114.

[5] . المصدر نفسه،5 / 114.

[6] . الحموي، معجم البلدان، 1 / 11 .

[7] . المصدر نفسه،1 / 12 .

[8] . المصدر نفسه،1 / 12 .

ج. كتب الحديث والسير والمغازي والفتوح: ان السبب المباشر الداعي لياقوت على تأليف موسوعته وكما ذكر هو ذلك[1] انه سُئل عن موضع جاء في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمن الطبيعي ان تكون كتب الحديث مصدراً من المصادر التي اعتمدها في التأليف، لاسيما انه كان يذكر عند ترجمة المواضع ان اسمها ورد في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) او انه (صلى الله عليه وآله وسلم) مر بها في غزوةٍ من غزواته معتمداً في ذلك على كتب السير والمغازي.

اما اعتماده على كتب الفتوح كمصدر في تأليف موسوعته فإنه كان يذكر سنة فتح المسلمين للموضع وقائد فتحه واشار الى ذلك بقوله: " ... وفي أي زمانٍ فتحه المسلمون وكيفية ذلك ومن كان اميره "[2] .

د. كتب الرجال: ان السبب الذي جعل ياقوت يعتمد على كتب الرجال ويعتبرها مصدراً من مصادر موسوعته هو انه كان يذكر أشهر الرجال الذين انتسبوا للموضع الذي يترجم له ويبين موقف كتب الرجال منه واشهر من تلقى عليهم علومه والرواة عنه، مما جعلها مصدراً لاغنى لياقوت عنها.

2. اللقاءات: جمع ياقوت مادة موسوعته من اللقاءات أي لقاءآته مع العلماء والرواة واشار الى ذلك بقوله: " ثم نقلت ... من افواه الرواة"[3] او من اشخاص زاروا الموضع المترجم له او انتسبوا له، وكان يوثق ذلك بقوله: " خبرني رجلٌ من اهلها فقيه"[4] او يقول: " اخبرني بذلك جماعة من اهل ..."[5]، وكان لا ينقل الا عمن يثق به فيقول: " اخبرني من اثق به"[6].

وبذلك تكون اللقاءات قد شكلت مصدراً مهماً من مصادر موسوعة ياقوت .

3. الرحلات والمشاهدات: كان ياقوت دائم الترحال بحكم عمله في التجارة – كما اسلفنا– او بحثاً عن الكتب لجمع مادة مؤلفاته مما اتاح له فرصة مشاهدة مختلف المدن والمواضع، وقد وظف هذه المشاهدات في وصف المواضع التي ترجمها وضمنها موسوعته، وكان قد زار ما يقارب مائة واربعين موضعاً وعبر عن مشاهداته بعبارة : " رأيتها[7]، شاهدتها[8]، مررت بها[9]، اجتزت بها[10]، فارقتها[11] تركتها[12]"، وست مواضع اشار اليها بقوله :" عهدي بها"[13].

ومعنى المشاهدة لا يقف عند حد مشاهدة المواضع بل قد يشمل ايضاً مشاهداته للخطوط– خطوط العلماء– والتي اشار اليها بقوله: " قرأت بخط...[14]"، وقد تسبقها عبارة الوجادة[15] فيقول: " وجدت بخط ...[16]" .كما تشمل مشاهداته للكتب فقال : " قرأت في كتاب ...[17]، رأيت في كتاب ...[1] "، ويستخدم احياناً عبارة الوجادة فيقول : " وجدته في كتاب...[2]" وتظم ايضاً مشاهداته للعلماء والاشخاص فقال : " رأيته...[3]، لقيته...[4]" .

---

[1] . راجع من هذه الدراسة ص11 .
[2] . الحموي، معجم البلدان، 1 / 12 .
[3] . المصدر نفسه،1 / 12 .
[4] . المصدر نفسه،1 / 307 .
[5] . المصدر نفسه،1 / 505،429 .
[6] . المصدر نفسه،2 / 183، 3 / 217 .
[7] . الحموي، معجم البلدان، 1 /53، 2 / 199،3 / 256،4 / 286، 5 / 223.
[8] . المصدر نفسه،1 / 187، 2 /197،5 /168.
[9] . المصدر نفسه،4 /334.
[10] . المصدر نفسه،2 /170، 3 / 14.
[11] . المصدر نفسه،1 / 498.
[12] . المصدر نفسه،5 /114.
[13] . المصدر نفسه،3 / 251،4 / 219،5 /404.
[14] . المصدر نفسه، 1 / 52،2 /28،3 / 364،4 /115، 5 /138.
[15] . الوجادة: هي مصدر وجد يجد والوجادة ما اخذ من العلم من صحيفة ما من غير سماع ولا اجازة أي الوقوف على كتاب شخص فيه احاديث يرويها بخطه ولم يلقه او لقيه ولم يسمع منه ولا له اجازة منه فله ان يقول وجت بخط فلان او قرأت بخط فلان او في كتاب فلان بخطه اخبرنا فلان بن فلان ويذكر شيخه ويسوق سائر الاسناد والمتن . ينظر: ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت: 643 ه/ 1245م)، مقدمة ابن الصلاح، شرح وتخريج: ابو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، ط 1، (بيروت، 1416)، ص 117.
[16] . الحموي، معجم البلدان،1 /2،54 /47، 3 /4،368 / 248، 5 / 51.
[17] . المصدر نفسه، 2 /3،321،251 /4،242 /5،68 / 29.

4. النقولات: ونقصد بها كل ما صرح به ياقوت بعبارة نقلت فيقول: " نقلت من خط ...[5]، نقلت من كتاب...[6]"، وتعتبر هذه النقولات مصدر من مصادر موسوعة ياقوت ودليل وثاقته .

اما عن منهجه في البحث والتأليف فقد كان ياقوت ملازماً للمكتبات حيث اقام في مرو ثلاثة سنوات فقال : " وأقمت بها ثلاث اعوام ... ولولا ما عرا من ورود التتر[7] الى تلك البلاد ... لما فارقتها الى الممات، فإني فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف ... سهلة التناول ... فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها، وانساني حبها كل بلد والهاني عن الاهل والولد ..."[8]، وكان دائم السؤال والبحث والتفتيش عن المعلومات والتحقق من صحتها وكان يسعى لترجمة كل ما قرأ او سمع من المواضع ففي ترجمة المحمدية قال : " وقع لي كتاب اسمه تمام الفصيح لابن فارس وبخطه وقد كتب في آخره : وكتب احمد بن فارس ابن زكريا بخطه في شهر رمضان سنة 390 هـ / 999م بالمحمدية، فعبرت دهراً أسأل عن موضع بنواحي الجبال يعرف بهذا الاسم فلم اجده... حتى وقعت على كتاب محمد بن احمد الفقيه فذكر فيه : قال جعفر بن محمد الرازي : لما قدم المهدي الري في خلافة المنصور بنى مدينة الري التي بها الناس اليوم ... وجعل لها فصيلان ... وسماها المحمدية، فأهل الري يدعون المدينة الداخلة المدينة ويسمون الفصيل المدينة الخارجة والحصن المعروف بالزبيدية في داخل المدينة بالمحمدية"[9]، كما اشار ياقوت الى الصعوبات التي واجهته في البحث فقال : " داراء[10] ... وهذا موضع استصعب علينا معرفته وكثر تفتيشنا اياه ... حتى وجده الوزير الصاحب القاضي الاكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي اطال الله بقاءه... فأفادنا فأحسن الله جزاءه"[11] .

وفي التأليف اعتمد ياقوت على ذاكرته في بعض الاحيان اذ اشار في مضان كتابه الى ذلك فقال في ترجمة الشاذياخ[12] :"... هذا معنى قول الحاكم فأنني كتبت من حفظي اذ لم يحضرني اصله "[13] .

اما الترتيب الذي اعتمده ياقوت في التأليف فقد رتب الكتاب ككل على حروف المعجم –كما اسلفنا– ولم يشذ في ترتيب جزئياته عن ذلك ونقصد بالجزئيات المواضع التي تحمل نفس الاسم مع اضافات فيرتبها على ما أُضيف اليها مثل الدارات حيث جمع اكثر من موضع بهذا الاسم مع اضافاتٍ عليها فرتبها على حروف المعجم وحسب ما أُضيف عليها يبدأ بدارة أجد ثم دارة الارام[14] وينتهي بدارة يمعون [15] وهكذا تعامل مع باقي الجزئيات التي تضمنها كتابه .

---

[1] . الحموي، معجم الادباء، 3 / 228.
[2] . المصدر نفسه،2 /38، 3 /261، 4 / 297، 5 / 255.
[3] . المصدر نفسه،1 /294، 3 /310، 4 /5،396 / 310.
[4] . المصدر نفسه،1 /2،283 /157.
[5] . المصدر نفسه، 1 / 2،52 /229، 3 /5،332 /279.
[6] . المصدر نفسه، 1 / 5،183 /174.
[7] . التتر: كلمة اطلقها العرب على القبائل المغولية التي اجتاحت الشرق العربي والبلاد الاسلامية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ويعرف التتار عند الاوربيين بالتتار او التارتار، اما الصينيون فيسمونهم بالتاتا بحذف الراء . ينظر: س. أ. بروكس، سكان العالم، (موسكو، 1985)، ص 115؛ مجموعة من العلماء، سكان الاتحاد السوفيتي (موسكو، 1979)، ص 123؛ www.oikpedia.orq/oiki.
[8] . الحموي، معجم البلدان، 5 / 114.
[9] . المصدر نفسه،5 / 65 .
[10] . داراء: موضع مشهور ومنزل للعرب معمور. ينظر: الحموي، معجم البلدان، 2 /418.
[11] . الحموي، معجم البلدان، 2 / 418 . ينظر: 4 / 54.
[12] .الشاذياخ:موضعين احدهما في باب نيسابور مثل قرية متصلة بالبلد، و شاذياخ قرية ببلخ على اربعة فراسخ منها، والنسبة اليهما شاذياخي . ينظر: السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور(ت: 562ه/ 1196م)، الانساب، تقديم: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، (بيروت، 1988)، 3/372-373 .
[13] . الحموي،معجم البلدان، 3 / 305 . ينظر: 4/ 160، 5/ 211، 311.
[14] . المصدر نفسه،2 / 425.
[15] . المصدر نفسه،2 / 431.

رابعاً: مقارنة بين منهجه في المعجمين :

امتاز منهج ياقوت في معجميه بأن جعل بينهما صفات مشتركة ومعلومات متباينة، فأما ما اشترك فيه المعجمين من صفات انهما من كتب التراجم، فجمع في معجم الادباء تراجم من عرف بالادب واشتهر بالتأليف، وفي معجم البلدان جمع تراجم المواقع الجغرافية والبلدان التي عرفها العالم الاسلامي آنذاك فكان موسوعة جغرافية، وصفة اخرى مشتركة بينهما هي الترتيب الهجائي لتراجم المعجمين، اذ رتب تراجمهما على حروف المعجم .

وثمة ما يميز منهجه فيهما انه في معجم الادباء عرف بعض المواقع الجغرافية التي اشتهر فيها اديب من الادباء فمثلاً في ترجمة ابراهيم بن اسماعيل بن احمد قال: "يعرف بأبن الاجدابي، اجدابية من نواحي افريقية"[1].

وفي معجم البلدان ترجم لبعض الادباء والعلماء الذين انتسبوا للموضع الذي يترجمه فمثلاً قال في ترجمة آمد نسب اليها "ابو القاسم الحسن بن بشير الامدي الاديب ... وله تصانيف في الادب مشهورة منها: كتاب المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء، وكتاب الموازنة بين ابي تمام والبحتري وغير ذلك"[2].

واعتمد ياقوت منهج علمي عندما آثر عدم تكرار المعلومات مع ترابط التراجم، ففي معجم الادباء قد يترجم للاب والابن او العم او اولاد العم مما يجعل التكرار واجبا الا انه اختصر التكرار بعبارات من شأنها ان ترشد القارئ الى ان المعلومة قد ذكرت في موضع سابق فقال مثلا في ترجمة علي بن عبد العزيز بن ابراهيم ... بن حاجب النعمان قال:"قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة ابيه"[3]، وفي ترجمته لاحمد بن سهل البلخي قال:" قد وصفه...بوصف ذكرته في اخبار ابي حنيفة احمد بن داود فأحتسبت به كعادتي في الايجاز وترك التكرير"[4]، كذلك الحال في معجم البلدان فإنه ترجم لبلد ما وما يجاوره من مدن او قد يترجم لمدينة تقع ضمن حدود بلد قد ترجمه سابقا ففي ترجمة يبرين[5] قال : "... وقد استغنى القول عنه في باب ابرين... بما اغنى عن الاعادة"[6] وفي وادي القرى[7] قال : " قد ذكرته في القرى وبسطت من القول وذكرت اشتقاقه ولا فائدة من تكراره"[8] .

اما من حيث الموارد فقد اعتمد في تأليفه لمعجم الادباء على كتب الادب وطبقات النحاة واخبار الشعراء بالدرجة الاساس، في حين شكلت كتب الجغرافيا مصدراً مهماً من مصادر معجم البلدان فضلاً عن كتب التاريخ لاسيما التواريخ المحلية – تاريخ المدن – وكتب السيرة النبوية وكتب الفتوح، كما اعتمد بدرجة كبيرة على كتب اللغة العربية والنحو في تأليفه المعجمين فمثلا في معجم البلدان يذكر حركات حروف اسم الموضع من فتح او كسر او ظم ومثال ذلك ما قاله في ترجمة آبج [9] :" بالفتح وبعد الالف باء موحدة مفتوحة وجيم [10] .

---

[1] . الحموي، معجم الادباء،2 / 662.
[2] . الحموي، معجم البلدان، 1/ 57.
[3] . الحموي،معجم الادباء،1806/4.
[4] . المصدر نفسه،274/1.
[5] . يبرين:بإعلى بلاد سعد وهو رمل لا تدرك اطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة . ينظر: البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: 739هـ)، مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، (بيروت، 1412)، 3 / 1472.
[6] . الحموي، معجم البلدان، 5 / 427. ينظر: 1 / 5،7 / 430.
[7] . وادي القرى: من اعمال المدينة، وهي مدينة عامرة كثيرة النخل والبساتين والعيون، وبها ناس من ولد جعفر بن ابي طالب وهم الغالبون عليها ويعرفون بالواديين. ينظر: الحميري، الروض المعطار...، ص 602.
[8] . الحموي، معجم البلدان، 5 / 345. ينظر: 4 / 180،5 / 7.
[9] . آبج: موضع في بلاد العجم والنسبة اليها ابجي . ينظر: ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت: 630ه/ 1232م) اللباب في تهذيب الانساب، دار صادر (بيروت، د.ت)، 17/1؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت:911ه/1505م)، لب اللباب في تحرير الانساب، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ص3.
[10] . الحموي، معجم البلدان، 1 / 49.

الخاتمة :

بعد التوفيق من الله عز وجل ومنّهِ عليَّ في استكمال هذا البحث كانت هناك عدة محصلات واستنتاجات له وهي:

ان ياقوت لم يكن من اصول عربية فهو رومي الجنس والمولد اذ ولد في بلاد الروم واسر صغيرا وابتاعه تاجر يعرف بعسكر الحموي يسكن بغداد ولقب ياقوت بالحموي على لقب مولاه وعاش في كنفه وعامله كابن له فنشأ نشأة عربية اسلامية وادخله الكتاب وتعلم اللغة والنحو ليساعده في ادارة اعماله التجارية، فاعتاد ياقوت على السفر والترحال، واجتهد في رحلاته ان يلتقي العلماء والادباء لينهل من علومهم، ولما توفي مولاه عمل بنسخ الكتب بالاجرة مما زاد من اطلاعه، وعلى الرغم من حياة العبودية التي عاشها ياقوت الا انه كان عالما موسوعيا استوعب اغلب علوم عصره التي اكتسبها على يد اشهر علماء عصره وقتئذ، وخير دليل على ذلك ما انتشر واشتهر من مؤلفاته لاسيما معجم الادباء ومعجم البلدان والتي تبرز اهميتهما من خلال اتباعه منهج علمي في التأليف، فمع اختلاف المعلومات للمعجمين نجد هناك صفات مشتركة بينهما وانفراد كل معجم منهما بمعلوماته الخاصة التي قد يكون استقاها من مصدر واحد في بعض الاحيان، ومن حيث الترتيب رتب تراجم المعجمين على حروف المعجم – ترتيب هجائي – .